# مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

## تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

## اللقاء السابع يوم الجمعة 7 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل العافية، في هذا اليوم المبارك في هذا الشهر المبارك سيكون حديثنا عن سورة عظيمة مباركة، آية فيها من أهم أسباب بالعافية (**سورة الأنعام**) السورة التي قررت التوحيد، وأجملت الإيمان، نزلت جملة واحدة على رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- مجمِلة مفاهيم الإيمان، وخاصة الإيمان بالله والإيمان بلقاه، والإيمان برسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

وما أعظمها من مسائل ومهمات تُقضى في بيانها وفهمها الأعمار. واخترنا من بين هذه الآيات الكلام عن مهمة تربوية غاية في العظمة والأهمية، سبب رئيسي في عافية النفوس وعافية الدنيا، وعافية الآخرة. هذه الآية فيها خبر عظيم عن صفة من صفات رب العالمين وأثر هذه الصفة.

هذه الآية هي الآية الثانية عشر من سورة الأنعام، نسمعها سويًا ونفهم معانيها على ما قرر أهل التفسير، ثم بإذن الله نرى من خلال هذه الآية ومن خلال المفهوم الذي سنصل إليه كيف أنها مهمة من المهمات التربوية التي نربي أنفسنا عليها، ونربي عليها الأجيال، قاصدين بذلك وجه الله وراغبين أن تكون هذه المهمة سببًا للعافية في الدنيا والآخرة.

نبدأ بسماع الآية الثانية عشر من سورة الأنعام، ثم نبدأ في بيانها، بإذن الله:

**(قُل لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)**

هذه الآية آية عظيمة تحمل معاني غاية في الوضوح وغاية في الأهمية وغاية في التكرار في كتاب الله. تصوّر أن هذه الآية فهمها سيطابق فهمك لمطلع سورة الفاتحة، وهذا مما يدلّ على أهميتها. ونرى ذلك من خلال **تقسيم الآية إلى ثلاثة أقسام:**

1. سؤال الاستفهام الذي أمر الله -عز وجل- رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يسأل (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ) وهنا سيتبين لنا كيف يأمر الله رسوله أن يسأل ويأمره أن يجيب.
2. (كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) هذه هي الجملة الثانية.
3. (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ) الجملة الثالثة.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وهذه هي خاتمة الآية.

نبدأ أولًا بأمر النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- بهذا السؤال: أمْره أن يسأل هؤلاء المخاطَبين هذا السؤال: لمن ما في السماوات والأرض؟ وهذا إنما هو سؤال تأنيب وتقريع لهم لأنهم يعلمون هذا الأمر علمًا عظيمًا، يشعرون به؛ لذلك كان الجواب مقررًا أيضًا: (قُل لِّلَّهِ) لا سبيل لجحد هذه الإجابة ولا سبيل للمغالطة؛ لذلك لم ينتظر السائل جوابهم وبادرهم الجواب عنه بنفسه، فقال لهم: (لِّلَّهِ).

لو نظرنا للآية السابقة لهذه الآية سنجد قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا) في هذه الأرض (كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الله أمرهم بالسير وأمرهم بالنظر بأعينهم وبقلوبهم، بعد أن يسيروا ينظروا في هذه الأرض ويجيبوا على هذه الأسئلة: كيف كان عاقبة المكذبين؟

يجيبوا على هذا السؤال أيضًا (لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؟

أنتم سرتم في الأرض ووجدتم بقاعًا كبيرة، عظيمة، فيها من الخيرات ما فيها، ولا أحد فيها، وجدتم جبالًا مكسوّة بالخضار، وجدتم بحارًا مليئة بالخيرات، من يملكها منكم؟ (لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؟ لذلك من سار ببدنه أو سار بقلبه وفكره لا بد أن يجيب هذا الجواب: (قُل لِّلَّهِ).

فهنا يراد تقرير هذه المسألة وتأكيدها، وأحد وسائل تقريرها وتأكيدها: السير بالبدن والقلب والنظر فيما يحيط بالإنسان.

لما سمعنا (لِّلَّهِ) نفكر في اللام، اللام تدل على الملكية، يعني ملكًا لله، القلم لمن؟ لفلان، يعني يملكه فلان، لمن ما في السماوات والأرض؟ لله، فالملك ملكه، وهذا الأمر دل

على أن الذي في الأرض وفي السماء عباد لله دون غيره سبحانه وتعالى.

وهنا يبدأ فهم أنك إذا كنت عبدًا لله فلا بد للعبد أن يصير إلى مالكه لا محالة، وإذا كان فلان يملك الشيء القليل وفلان يملك الشيء القليل، فلا بد أنهم عن هذا الملك راحلون وعلى ربهم قادمون.

ثم نستعجب من هذه الجملة بعدما عرفنا أن ما في السماوات والأرض مُلْك لله، نلحظ أن رب العالمين يقول: (كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) بمعنى أوجب، (عَلَىٰ نَفْسِهِ) يعني على ذاته سبحانه وتعالى. هذه الكتابة إنما هي من تفضله، (كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) بتفضله على العباد، لسنا نحن الذين فرضنا الرحمة، بل هو الذي فرضها على نفسه؛ لذلك في الحديث القدسي، قال تعالى: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[1].

وهنا قبل أن نكمل التفاصيل نؤكد على هذه العقيدة: أن (كَتَبَ) يعني فرض على نفسه تفضّلًا منه على عباده سبحانه وتعالى.

---

[1] () أخرجه البخاري (7453).

هذه الرحمة تجدها في الدنيا، موجودة موفورة. قد يقال: "لكننا نجد أناسًا أصابهم من البؤس والبلاء ما الله به عليم، أمْر يمكن ألا يتصوره الإنسان من فقد مال وفقد أولاد، يكون شيء حكايته صعبة، فقد يقال أين الرحمة؟!"

الجواب ظاهر في نفس الآية: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، (كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) وهذه الرحمة سيكون أكملها حين نجتمع عند رب العالمين، كون أن هناك يوم قيامة، هذا رحمة من رب العالمين، وهذا بإذن الله ما سنبذل جهودنا ما سنفصله من خلال هذه المهمة.

حين يقال: "هناك أناس أصابهم بؤس وبلاء عظيم!"، كل ما أصاب الإنسان من بلاء وهو مؤمن فهو رحمة، فإذا حصل منه الصبر؛ أُثيب ثواب الصابرين، وإذا احتسب وفكر في ثواب الدار الآخرة، قال: "رب احسبها لي" ليس بلسانه فقط، إنما بقلبه؛ أُثيب ثواب الشاكرين، إذا صبر؛ أُثيب ثواب الصابرين، وإذا شكر؛ أُثيب ثواب الشاكرين، فكان خيرًا له.

والنفوس والطباع عرفت أن أناسًا لو رزقوا صحة ومالًا وأولادًا لحصل منهم بطر وأشر، وأفسدهم الغنى،

فيصيبهم الله -عزَّ وجلَّ- بما يجعل حياتهم مستقيمة. فكل شيء يصيب المؤمن، الحمد لله، رحمة وكفارة.

بل في حديث عائشة -الذي أخرجه الترمذي- يصف الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- هذه الحالة وكيف أن الإنسان يُكفر عنه بها «هذهِ معاتبةُ اللهِ العبدَ بما يُصيبُهُ مِن الحُمَّى والنَّكْبَةِ حتَّى البِضاعةُ يضعُها في يدِ قميصِهِ فيفقِدُها فيفزَعُ لها، حتَّى إنَّ العبدَ ليخرجُ مِن ذنوبِهِ كما يخرجُ التِّبْرُ الأحمرُ من الكيرِ»، تصور إلى أي درجة يوم القيامة رحمة، أن الإنسان يؤجر على كل شيء، حتى خوف أصابه، كما في الحديث، أنه يفزع بشعور أنه غير موجود ثم تبين أنه موجود، هذا الخوف ربنا يكفر به السيئات -سبحان الله- يا لرحمة الله العظيمة التي كتبها على نفسه! إذا فزع من شيء مثل هذا كتب له بذلك أجرًا.

فما يجد الإنسان من أجور -إذا كانت الآخرة مركزية في قلبه- هذا سينسيه المرارة والآلام والبؤس والتعب، إما أن تزول هذه الأمور ويبقى الإنسان ويستمر، أو أن تصل به إلى الموت، والإنسان لا بد أن يموت لكن الأجر باقٍ.

لذلك هذه هي المهمة التربوية: أن **تكون الآخرة مركزية في تفكيرنا**، والكافر؟

الكافر هو الذي فوّت الرحمة على نفسه مع أن الله رحمه بما يسّره له من طعام وشراب وصحة، إلى آخر ما يعطي الله -عزَّ وجلَّ- خلقه، لكن الإنسان يفوت على نفسه رحمة الله حين يفكر في الدنيا فقط، ويترك الآخرة.

(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) قد يقال: "هذه الرحمة ما مظهرها؟" فيقال: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ). مظهر هذه الرحمة أن الله يجمع الخلق يوم القيامة -سبحان الله-، وهنا نتذكر سورة الفاتحة، (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، الذي له ملك كل شيء، لمن ما في السماوات والأرض؟ لله رب العالمين، ثم نتذكر (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)، (كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)، من رحمته أنه (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ).

هنا في الآية قال تعالى: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، من آثار رحمة الله أن يوم القيامة موجود، فرحمة الله في الجزاء أيضًا؛ لأنه بدون الجزاء تضيع الأعمال الصالحة، تضيع المظالم، والدنيا ليست دار الجزاء، لا جزاء في الدنيا إنما تنبّه وتذكير، حتى حين تقع الآلام أو أحزان أو

مصائب، هذه كلها من باب التنبيه والتذكير، دار التكليف لا تكون دار الجزاء، إنما دار الجزاء هي الدار الآخرة، وما يحصل في الدنيا يحصل من باب التنبيه، من باب البيان.

كتب ربنا على نفسه الرحمة، كما في الحديث «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[2] ومن كتابه الله -عزَّ وجلَّ- الرحمة: أنه كان يوم القيامة؛ لأن مالك الأشياء لا يهمل محاسبتها. السماوات والأرض لله وربنا صفته الرحمة وسيجمعنا لأنه المالك الرحيم، والمالك لا يهمل المحاسبة في مملكته.

نلاحظ (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هذه الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات:

1. القسم.
2. واللام الواقعة في جواب القسم.
3. ونون التوكيد.

كأنك تسمع ثلاث مرات: "والله ليجمعنكم أيها الخلق."، قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ

[2]() أخرجه مسلم (2751).

إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) كما في آية الواقعة، وكما في الجاثية أيضًا: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ). هذا الجمع من المؤكد وقوعه؛ لذلك (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ).

ويوم القيامة سمي بهذا الاسم لقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، وهذا القيام عظيم، تصور أن هذه الأجساد تشق الأرض كما يشق النبات الأرض، وتخرج أجسادًا بلا أرواح، ثم بصيحة واحدة تعود الأرواح إلى الأجساد ويحضرون كلهم لا يتخلف منهم أحد؛ الذي أكلته السباع، الذي أحرقته الأرض، الذي أغرقه الماء، كل هؤلاء يعودون، يوم يقوم فيه العدل، يقضى للشاة من الشاة، وهذا يقال لبيان أنه تصوروا أنه إلى هذه الدرجة سيقام العدل. يوم القيامة، يقوم الناس لرب العالمين، ويقوم فيه الأشهاد الذين سيشهدون، هذه الأمة تشهد على الأمم السابقة، ويقوم فيه العدل (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[3]

هذا اليوم (لَا رَيْبَ فِيهِ)، وإذا كان لا ريب فيه؛ يصبح هذا من أهم المهمات التربوية: أن نعيش والآخرة مركزية

[3]() المطففين: 6.

في تفكيرنا، مركزية في تربيتنا لأنفسنا، مركزية في تربيتنا لأبنائنا ومن تحت أيدينا.

ولذا من فهم هذا الأمر، فهم أن الآخرة لا بد أن يكون الكلام فيها كلام اليقين، وأنه لا ريب فيه، في كون أن الآخرة واقعة، وتصور هذا الأمر، (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) بتضييع رأسمالهم وهو: الفطرة السوية والعقل المستعدّ للتعاليم الإلهية، ووجود الوحي وغير هذا من آثار رحمة الله، بإنزال الكتاب الذي لا ريب فيه للاستعداد للّقاء الذي لا ريب فيه، الكتاب لا ريب فيه واللقاء لا ريب فيه، الذين خسروا أنفسهم هم القوم الذين لا يؤمنون، لا يصدقون بهذا اليوم ولا يخافون شره لأنهم أبطلوا عقولهم وانهمكوا في الدنيا، أغفلوا النظر والتفكير مما شغلهم عن هذه الحقيقة التي لا ريب فيها فامتنعوا عن الإيمان، ما أقبح هذه الحال، أناس عندهم رأسمال كان المفترض أن يستثمروه فكانت النتيجة أنهم خرجوا خاسرين.

موضوعنا الذي هو من أهم المهمات التربوية هو: جعْل الآخرة مركزية في حياتنا، في تربيتنا لأنفسنا وتربيتنا لمن تحت أيدينا مع تأكيد أن الآخرة من آثار رحمة الله.

(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) إن من آثار رحمة الله أن كان هناك يوم قيامة. الكتاب الذي لا ريب فيه أخبر عن هذه الحقيقة التي لا ريب فيها، والخسران الذي لا يهتم بهذا الموضوع.

الآن نطوف في بعض النصوص الدالة على أن الخاسر شخص أهمل عقله وترك هذه الحقيقة الواقعة. نجد في القرآن قد تكرر الاستفهام في عدة آيات لبيان أن الواجب جعل الآخرة مقدمة، الواجب الاهتمام بالآخرة، الواجب جعلها مركزية.

سنبدأ بآية في سورة الأنعام، في الآية (32) يقول -عزَّ وجلَّ-: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ). هؤلاء الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وخسروا رأسمالهم الذي هو فطرتهم السوية وعقلهم القادر على إدراك الحقائق ونفوسهم القابلة لهذا الأمر التي تعرف أنه لا يمكن أن يترك الظالم ظالمًا والمظلوم مظلومًا ولا ينزع حق المظلوم من الظالم! لهؤلاء رب العالمين يقول: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

ومثل هذه الآية في سورة الأعراف: (وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

وفي يوسف: (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

وفي سورة القصص: (وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

تصور هذا الخاسر الذي خسر رأسماله الذي هو فطرته السوية، وعقله، والقرآن الذي لا ريب فيه يقرر هذا بهذه الاستفهامات، يقرر أن الإنسان العاقل لا بد أن يقدم الآخرة على الدنيا ويجعلها مركزية، والآخرة إنما هي من آثار رحمة الله.

فالذي عنده عقل لا يترك هذه الآخرة العظيمة لأجل هذه الدنيا التي أوصافها معروفة.

وانظر لهذا الموقف بين النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وعمر -رضي الله عنه-، يدخل عمر -رضي الله عنه- على النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فيجده -صلَّى الله عليه وسلَّم-، قد أثّر الحصير في ظهره الشريف، فيشعر عمر -رضي الله عنه- بالحزن، كيف أن النبي -صلَّى الله عليه

وسلَّم- في هذه الحال، أثّر الحصير في جنبه وقيصر وكسرى يتمرغون في نعم الله! فالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أعطاه قاعدة غاية في الأهمية تدل على مركزية الآخرة في تفكير الناجين، الناجي لا ينجو إلا بهذه الطريقة؛ قال له النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- :

«أما ترضَى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا؟»

من هذا المبدأ انطلق أصحاب رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- رضوان الله عليهم جميعًا، ينظرون للحضارة في البلدان التي فتحوها بنظرة مستقيمة، وأنها مجرد وسيلة لا تتعدى أن تكون غاية.

هذا الكلام من عمر -رضي الله عنه- مع العلم أن عمر -رضي الله عنه- كما قال معاوية عن علاقته بالدنيا: "وأما عمر فأرادته ولم يُرِدْها" وفي الموقف المشهور الذي حكيناه، عمر -رضي الله عنه- لم يرد الدنيا لنفسه إنما أراده للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- حبًّا له، وحُقّ له أن يشعر بهذا الشعور، لكنها كانت فرصة لتقرير هذا الأمر، مركزية الآخرة «أما ترضَى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا؟»، فالآخرة مركزية والدنيا وسيلة لها.

هذا الأمر يمنع حصول الانبهار بتقدم حضاري لا غاية له، تقدم حضاري لا يسير على وفق مظلة الشريعة.

في سورة الأحقاف حين يحكي لنا رب العالمين عن أولئك الأقوام الذين فعلوا في الدنيا، قال: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ). مُكنوا في الدنيا، ربنا أعطاهم منها، لكن ماذا فعلوا، في مقابل أنك ترى أن داوود -عليه السلام- رب العالمين ألان له الحديد فصنع بهذا الحديد -كما أمره رب العالمين- سابغات وقدر كما أمره رب العالمين في السرد، فضبط أعماله، صنع الدروع السابغة التي تغطي هؤلاء الذين يجاهدون في سبيل الله ويفعلون ما يرضي الله، وأمره -عزَّ وجلَّ- الإتقان في هذا العمل، فالآخرة مركزية والدنيا وسيلة لها، هذا يسبب وقاية من الانحراف السلوكي والفكري؛ لأن المنبع لكل الانحرافات الفكرية القديمة والمعاصرة هو ضعف الإيمان بالله وعدم استحضار لقاء الله.

فكّر في الآية التي في سورة الأنعام: (قُل لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، الإيمان أن كل شيء ملك لله وأننا لا بد أن نلقى الله، فكل الانحرافات القديمة والمعاصرة سببها ضعف الإيمان بالله وعدم استحضار لقاء الله، والانشغال بالدنيا.

في سورة الروم التي يشار فيها لما عند الروم من حضارة، قال -عزَّ وجلَّ-: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ).

لذلك **وجب في التربية إظهار حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة**، حتى في الأعمال والاجتهاد مثل داوود وسليمان -عليهما السلام-، اقرأ قصتهم في سبأ وانظر كيف أنهم يستفيدون من الدنيا لكن يستفيدون من هذه الدنيا وهم

أولًا: عابدين (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ). وثانيًا: هم يريدون من هذه الأعمال والاستفادة بما في الدنيا أن يرضى عنهم الله، أن يفعلوا الخير، أن ينشروه. كيف يصنع سليمان -عليه السلام- هذا الذي ينفع الناس، بالأدوات التي يسرها الله -عزَّ وجلَّ-، كيف يصنع

قدور راسيات، مثل الأوقاف، هذه القدور من ثقلها راسيات، فيها طعام للجميع.

المقصد أن مركزية الآخرة وكون الدنيا وسيلة من الأمور التي يجب أن نعتني بها وهي سبب للوقاية من الانحراف السلوكي والفكري.

ولا بد من التذكير بقِصر الدنيا، العمر هبة من عند رب العالمين، لكنه قصير، وكل شيء يبتدئ لا بد أن ينتهي، وإذا كان شيء سينتهي فهو قصير، والناس في النهاية سيموتون، فلا بد أن نشتغل بما وراء هذه الحياة، كون الآخرة مركزية هذا يعطي شعور بامتداد الحياة.

ونحن نربي أنفسنا ونربي أبناءنا، لا بد أن يظهر في كلامنا أن معرفتنا أن هناك حياة أخرى هذا شيء يطمئننا، العمر لا ينقضي بحياة الإنسان بل يمتد حتى بعد وفاته؛ لذا ونحن مؤمنين لا نشعر شعور اليأس الذي يزلزل نفسية الكفار حين يسمعون عن ذكر الموت ويشعرون بهول الفناء، هذا ليس عندنا.

الإيمان بالآخرة يشعر المسلم أن الموت إنما هو معبر للحياة الحقيقية، ففي الوجدان يفهم الإنسان أن الحياة لا

تنتهي بالموت، فيعيش الحياة بذوق آخر ملؤه العمل والأمل في أن تكون حياته الآخرة خير من دنياه، فلبئس عمر يعيشه الإنسان وهو يشعر أن الموت هو المثوى الأخير، رب العالمين يقول: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[4].

كون أن الآخرة مركزية في تفكيرنا واليقين أنها من رحمة ربنا هو الذي يحرك هذا فينا.

من رحمة رب العالمين أن هناك آخرة؛ لأنها سبب في الوقاية من الانحرافات وتعطي شعور بامتداد الحياة، يعطي فسحة، أمامك أمر هائل، وهذا أيضًا من رحمة الله أنه توجد الدار الآخرة فتحفز المؤمن على استثمار عمره، العمر في الدنيا لا يقاس بطوله وقصره، بل يقاس بعمقه وامتداد الأثر في الدنيا والآخرة.

فكر في علماء المسلمين، فكر في الشافعي، في النووي، في ابن تيمية ومن تعرف من العلماء المسلمين، فكر في مكتبات المسلمين الضخمة، كيف امتدت أعمار هؤلاء بعدهم وهم ليسوا على قيد الحياة، فالدار الآخرة (كَتَبَ

[4]() الدخان: 56.

عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)، من آثار رحمته: أنه سيجمعنا في الدار الآخرة.

- هذا يحفز المؤمن على استثمار عمره.
- وأيضًا يحافظ على توازنه النفسي.

تصور هذا كما يقول تعالى: (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)[5] زلزال نفسي وشعور بالدمار والخراب يملأ شعور الكفار، يأس يقطع عليهم أحلامهم، بينما المؤمن يملأ الإيمان بالله والإيمان بلقاء الله حياته سعة ورحمة، فيجد آفاقًا رحبة، ينظر للحياة والمصير، أن ما فعله اليوم سيجده غدًا وأنه يستثمر اليوم لخبرات غد.

لذلك فقدان الإيمان بالله واليوم الآخرة يسبب فقدان التوازن النفسي، لا بد. يذهب الهدوء، يفقد الإنسان توازنه النفسي في التعامل مع العمر؛ لأن هذا هو الرصيد الوحيد لدى الإنسان، ماذا يفعل، كيف يوظفه ليكون من السعداء؟

[5]() الحج: 31.

هذه من رحمة الله أنه أخبرنا أنه يوجد طريق هنا تفعله وغدًا تجد السعادة؛ لذلك في القرآن رب العالمين أخبر كثيرًا عن نفسية هؤلاء:

منها قوله تعالى: (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)[6] حالة من اليأس تسبب الهلع على كل الشهوات، ليس مثل شخص مطمئن أنه إن لم يفعل اليوم يقدم غدًا، غدًا سيكون متكئًا وغدًا سيجد خدمًا، وغدًا سيجد ما يشتهيه في فؤاده قد تدلى واقترب منه.

لذلك علينا الإيمان بالآخرة وجعْلها مركزية، نفكر فيها، نتكلم عنها، نناقشها، نوجه الأعمال لها، نقول ونفعل هذه الأفعال في الدنيا، ونتذكر داوود وسليمان -عليهما السلام- يفعلون أفعالًا في الدنيا لكنها ستنفعهم في أخراهم، نفوسهم مخلصة، يستفيدون من كل ما أعطاهم رب العالمين في نفع المجتمع والناس محتسبين ذلك على الله أنهم سيجدونه عنده؛ لذلك لا بد أن تعتقد أن التفكير في الآخرة يمنح الحياة جمالًا، وهذا من رحمة الله.

[6]() الممتحنة: 13.

يجب أن تشعر أن ربيع الإحساس بالحياة هذا حين تعرف أنك ستلقى الله وتطمع في مغفرته. الأنس الذي يشعر به العبد المؤمن في سيره إلى الله عبادة، وفي معاشه الأرضي عادة، إنما هو ناتج عن الشعور بوجود يوم آخر يلقى فيه الله، الشعور العميق المستقر بالحياة الأخرى التي هي امتداد لحياتنا، فالموت في عقيدة أهل الإسلام ليس رُعبًا، ليس -كما يعبرون- (فوبيا) تجعل الإنسان في وسواس، تحطمه وتدمر أعصابه!

بل هي لحظات من السكينة، يتذكر فيها الإنسان أن ملائكة الرحمة تنزل فتقبض الأرواح وتبشر المقبوضين بحياة خير من حياتهم. هذا يجعل الإنسان يطمع في رب العالمين، ويسأل رب العالمين سؤال الطامع المتأكد المتيقن بلقاء رب العالمين، وبقبض الملائكة لروحه، فيسأله أن يجعل ملائكة الرحمة هي التي تقبض روحه.

وهنا يصبح ذكرى الدار الآخرة دافعًا محفزًا على الطاعة. فالإنسان حين يعرف أنه هنا يعمل ليعمر هناك، وهناك لا بد أن يكون، فستجده راكعًا ساجدًا، صابرًا على المكاره، ينفق من حُرِّ ماله، يحجّ ويعتمر ويفعل ما

يستطيع من ذكر ربه، كل ذلك رغبة في جزاء مؤمن به وربنا وعده به.

من رحمة الله أنه يوجد يوم آخر؛ لأن هذا يدفعنا للعمل ويبقى في قلوبنا في كل وقت الشوق.

الإيمان بالآخرة يوجد في نفس المؤمن مُتْعة ترقّب الوصول، فالموت باب الدخول على الله، ويومئذ لا يخاف إلا أهل التكذيب، أما الذين استقاموا وهم مشغولين بوعود الله، بذلوا جهودهم في الاستعداد للقائه بالتوبة والاستغفار والرجاء، كما قال -عزَّ وجلَّ-: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ)[7] تصور هذا الإحساس بالطمأنينة الذي يصل الحياة الدنيا بالآخرة، الملائكة تقول لهم: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)[8] هذا كه يملأ القلب سكينة وطمأنينة.

لذلك مركزية الآخرة تجعل الإنسان يشعر برحمة الله، أني أفعل هنا وأجد هناك، أتألم هنا وأجد أجورًا هناك،

[7] () فصلت: 30.
[8] () فصلت: 31.

أفكر هنا في رحمة الله رب العالمين يعطيني على ذلك الخير الكثير يوم القيامة.

فتجد هذا المؤمن عبدًا صالحًا يسلك سبيل ربه في الحياة مستجيبًا لنداء الله، يرجو رحمة الله ويخاف عذاب الله، فتجده بجناحي الخوف والرجاء متوازنًا في سيره، محبًا مشتاقًا للقاء ربه، لا يضره خوف فيصل إلى حد اليأس، ولا يطغيه رجاء فيملأه غرورًا، قلبه ممتلئ بحب رب العالمين.

ومن هنا ذكرى الدار الآخرة تكون سببًا لأمن وسلام الدنيا، ومن هنا تأتي النفس المطمئنة التي يقال لها: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) هذا من أعظم أسباب الطمأنينة ومن أكثر ما يفتقده العالم اليوم: يفتقدون أن يشعروا أن الدار الآخرة والجمع إلى يوم القيامة من آثار رحمة الله.

من هنا نفهم مقولات الأصحاب الكرام:

- فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَة وهو يقتل.

- والصحابي الآخر الذي يقول: إنِّي أجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ.
- وما أعظم قول بلال عند موته وهو مستبشر: غدًا نلقَى الأحبَّةَ محمَّدًا وصَحبَه.

فاليوم الآخر موعود منتظر مع الأحبة ومع قافلة السالكين إلى رب العالمين.

ومن كون هذا اليوم رحمة من الله أنه يمنع المعاصي والذنوب، حين تتعلق النفس بالشهوات تعلّق مَرَضي، تجري عليها، لكن حين يتذكر الإنسان الموت ويتذكر الحساب، هذا يطفئ هذه النار.

ومن ذلك أنه يمنع الظلم وتوابعه.

ومن ذلك أن ذكرى الدار الآخرة سر الإخلاص في الدنيا؛ لأن من جمال الإيمان باليوم الآخر تعظيم الثواب على قدر الإخلاص في قلب العبد.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر: أن تتسامى النفوس عن العداوات والانتقام والانتصار لحظوظ النفس؛ لذلك اسمع الله -عز وجل- يقول لنبيّه: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﷺ

فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)[9] فالمؤمن باليوم الآخر تهون عنده العداوات والأحقاد، ولا ينشغل بها لسببين:

1. أنها تقطع عليه الطريق للمنازل العلية؛ لأنه مشغول بالأحقاد فلن يكون عنده وقت أن يرتفع.
2. أنه يرجي أمره إلى وقت الحساب الذي يقوم على العدل والقسط، فيتولى الله الأمر.

فالإيمان باليوم الآخر يختصر على الإنسان عبث الحياة ولهوها، ويسقط عنه أغلال التشبث بالدنيا.

اكتشاف حقيقة الحياة الآخرة يسهل على المسلم الدنيا، لكن الكافر والمنافق لا يرى هذا إلا بعد هلاكه.

وما أعجب تعبير القرآن حين يخبرنا -عزَّ وجلَّ- ماذا سيقول ذاك الكافر: (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)[10]، فحسرة الكافر وندمه إنما لكونه لم يقدم لحياته، وحياته هي الدار الآخرة، لما وصل لتلك اللحظة ما قال: "يا ليتني قدمت للدار الآخرة"، بل قال: (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)، معناه أن الحياة الدنيا ليست بحياة فيندم على تفريطه في حياته الحقيقية التي هي الآخرة وليست الدنيا.

[9] () الحجر: 85.
[10] () الفجر: 24.

هذا كله والكلام عن مركزية الآخرة يحتاج منا إلى توازن، وهذا التوازن -بإذن الله- سيكون موضوعنا حين يأتينا الكلام عن سورة القصص، وقوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)، ونعود مرة أخرى في فرصة قادمة للتأكيد على موضوع مركزية الآخرة والتوازن بين الدينا والآخرة وأن كلامنا عن مركزية الآخرة يعني الانتفاع من كل الدنيا لأجل الآخرة، والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.